تحرير التدين من الكراهية

عبد الجبار الرفاعي

٢-٢

في مثل هذه البلاد تشيع عادة عقيدة ظاهرة. وهي ماتريده السلطة. بينما يخفي الافراد معتقداتهم. التي باتت واحدة من مكونات هويتهم الباطنية. وفي آيات اخرى يتحدث القرآن ايضا عن هذه المسألة. ويجليها بوضوح. كما في قوله تعالى: ((ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين))(٤). هنا اشارة الى المشيئة الالهية التكوينية الحتمية. التي بموجبها يمكن ان يجعل الله جميع سكان الأرض مؤمنين بالقسر. ولكنه تعالى انكر ذلك مستفهما، بأن مثل هذه الحالة لاتليق بالانسان. وكما انه سبحانه لم يلجأ إلى ذلك، فهو ينبه النبي ان لايحزن أو يقلق، عندما لا يؤمن بعض الناس. لأن المورد خارج اطار الاكراه. وان الايمان موكول للانسان. فبوسعه اختيار ماترسو عليه قناعاته. ومايرتضيه قلبه. ومايستسيغه عقله.

وفي مجموعة آيات يتحدث القرآن عن حرية كل فرد في اختيار السبيل الذي ينشده في الدنيا. كما في قوله تعالى: ((وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا))(٥). تقرر الآية بصراحة ان الايمان والكفر يرتبطان باختيار الانسان وارادته. من شاء فليؤمن. ومن شاء فليكفر. ولا تشير الى عقاب، أو توبيخ، أو تحقير واهانة، دنيوية. بل تقتصر على الاشارة الى الاستحقاق الاخروي للظالمين المعاندين. وهكذا الآية ((قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل))(٦). والآية ((انا انزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل))(٧).

وبالرغم من ان القرآن لايساوي بين الهدى والضلال. لكنه يمنح الانسان حرية في الاختيار. ولايلزمه بأحدهما خاصة. لأن المعاد يترتب على هذه الحرية. وليست هناك مسؤولية وحساب مع سلب الاختيار في الدنيا. وفي طائفة غيرها من الآيات يحدد القرآن نمط دعوة الرسول الآخرين الى الدين. فيصفه بأنه (مذكر. ومبشر. ومنذر. وشاهد. وسراج منير. ورحمة للعالمين. وماعليه الا البلاغ. وليس بمسيطر. وليس بجبار....). ((فذكر انما انت مذكر. لستَ عليهم بمسيطر))(٨).

((نحن اعلم بما يقولون وما انتَ عليهم بجبارٍ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد))(٩).

((وما ارسلناك الا مبشراً ونذيراً. قل ما اسألكم عليه من أجر الا من شاءَ ان يتخذَ الى ربه سبيلا. وتوكلْ على الحي الذي لايموتُ وسبحْ بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا))(١٠).

((وإنْ ما نُرينَّكَ بعضَ الذي نعدهم او نتوفينَّك فانما عليك البلاغُ وعلينا الحساب))(١١).

((ما على الرسولِ الا البلاغُ واللهُ يعلمُ ما تبدون وماتكتمون))(١٢).

((وبالحق أنزلناهُ وبالحق نزلَ ومأرسلناكَ الا مبشراً ونذيرا))(١٣).

((وما أرسلناك الا رحمةً للعالمين))(١٤).

((يا ايها النبيُ انا ارسلناكَ شاهداً ومبشراً ونذيراً))(١٥).

((وما أرسلناكَ الا كافةً للناس بشيراً ونذيراً))(١٦).

((انا ارسلناكَ بالحقِّ بشيراً ونذيرا))(١٧).

((فان أعرضوا فما أرسلناكَ عليهم حفيظا))(١٨).

((انا ارسلناكَ شاهداً ومبشراً ونذيرا))(١٩).

اذن وظيفة النبي تتلخص في التذكير بالبينات والهدى. وابلاغ الحق. والشهادة. والتبشير بالنعيم. والانذار بالخسران، في حالة الجحود والعناد. وانه سراج يضيء الطريق. ورحمة للعالمين. وبموازاة ذلك ينبهه الله الى انه ليس له سلطان في اكراه الناس على الايمان فهو ((ليس بمسيطر ولاجبار وانما رحمة للعالمين)). فاذا كان النبي(ص) وهو صاحب الرسالة، لم يفوض في اجبار الناس واكراههم، فكيف يفوض غيره بذلك؟! وان كان ذلك ليس من وظائف النبي. فكيف يسوغ لاتباعه سلب حرية الناس. ومصادرة حقهم في اختيار المعتقد؟!

وكذلك ينفرد القرآن الكريم من بين الكتب المقدسة في الأديان، في ان سوره تبدأ بـ ((البسملة)) التي تحتسب آية من السورة، حسبما ذهب جماعة من المفسرين والفقهاء. وتشتمل البسملة على صياغة بليغة لبيان مفهوم الرحمة. أوهي تكثيف دلالي لمنطق الرحمة الذي يسود الكتاب.

ويرى بعض المفسرين ان كل بسملة هي آية، لها معنى معين،يخص كل سورة تتصدرها. أي انها آية تختص بتلك السورة. ومعناها يتنوع بتنوع السور. وغرضها لا يخرج عن غرض السورة وما يتحصل من غاياتها. وبعبارة اخرى ان افتتاح كل سورة بالبسملة يعني ان الرحمة المشبعة بالبسملة حاكمة ومهيمنة على مضمون السورة واغراضها. فان كان المضمون اخلاقيا ينبغي ان يكون متقوما بالرحمة. وهكذا لو كان المضمون عقائديا أو غيره. فتقديم نص كل سورة بما تشتمل عليه البسملة من رحمة. يشي بأن كافة المضامين المسوقة في آيات القرآن تتأطر بمضمون البسملة. وهي بمثابة البوصلة التي تحدد وجهتها، وتصوغ الفضاء الروحي القيمي للسورة وللقرآن بمجموعه.

لقد لاحظت ان كلمة؟الرحمة؟ ومشتقاتها تكررت في القرآن اكثر من ٣٣٠ مرة. ما خلا ما ورد من تكرار البسملة في السور١١٤مرة. وبناء على القول بأن البسملة آية من كل سورة، وورود ((الرحمن الرحيم)) في كل بسملة، يفوق عدد مرات ذكر الرحمة ومشتقاتها في القرآن ٥٥٠ مرة. وهي ظاهرة دلالية تستحق العناية والتدبر. حتى وصف القرآن الكريم النبي محمد(ص) بأنه رحمة. وذكر بصراحة ان هذه الرحمة عامة. لاتختص بفرقة أوجماعة. وانما هي شاملة لكل العالمين ((ومأأرسلناك الا رحمة للعالمين)). ومما لاريب فيه انه حيثما كانت الرحمة فلا كراهية ولااكراه. ذلك ان الكراهية من لوازم العدوان والنقمة. بينما الرفق والعطف والرأفة والعدل والاحسان من لوازم الرحمة. فاذا كانت الرحمة وتوابعها تستوعب هذه المساحة من القرآن. لماذا يتغافل عنها اولئك الذين يختصرون الاسلام بالقتل والموت. وينصبون انفسهم ناطقين باسم الله في الأرض. من دون ان يتدبروا آيات الله ويفقهوا كتابه. كتاب المحبة والرحمة؟!

الهوامش

(١) د. محمد الحداد.حفريات تأويلية في الخطاب الاصلاحي العربي.بيروت.دارالطليعة،ص,٥

(٢) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي الميزان في تفسير القرآن. بيروت:مؤسسة الأعلمي. ج٢: ص٣٤٧ . وج٤ : ص١٢٠ .

(٣) الشيخ الدكتور مهدي حائري يزدي. الاسلام وميثاق حقوق الانسان. حولية ((مكتب تشيع)) العدد,٤ ,١٩٦٢ ص٦٧-٧٦ .

(٤) يونس ٩٩ .

(٥) الكهف ٢٩ .

(٦) يونس ١٠٨ .

(٧) الزمر ٤١ .

(٨) الغاشية ٢١-٢٢ .

(٩) ق ٤٥ .

(١٠) الفرقان ٥٦- ٥٨ .

(١١) الرعد ٤٠

(١٢) المائدة٩٩ .

(١٣) الاسراء ١٠٥ .

(١٤) الأنبياء ١٠٧ .

(١٥) الأحزاب ٤٥ .

(١٦) سبأ ٢٨ .

(١٧) فاطر ٢٤ .

(١٨) الشورى ٤٨ .

(١٩) الفتح ٨ .

(٢٠) يونس ٩٩ .

من الشعر الكردي المعاصر

لا أعرف كيف أعيش بدونك!

شعر: كزال أحمد
ترجمة: عباس البدري

ذات مرة سألتها: ماذا كنت تفعلين لو لم تكوني شاعرة؟! حدقت ملياً في سقف الغرفة، ومن ثم في جدرانها الباهتة مثل الغسق في نزعه الاخير، وفجأة اغمضت عينيها اللتين كان يخامرهما وسن أنثوي جذاب في تلك اللحظة، وقالت: من غيره ما كنت اقوى على العيش!

ثم أردفت : من غير الشعر لا معنى لحياتي!

كثيرة هي المجالسات التي جمعتني بالشاعرة كزال احمد، (واسمها يعني الغزال) ، واكثرها مجالسات شعرية كان يشوبها طقس له لون اللازورد الجبلي المعرق، وطعم الوجد الصوفي.

اعتقد ان مجالسات من هذا الطراز بين شاعرة وشاعر يمكن ان (تنجب) اغرب واجمل وارق واشهى تحفة بين مخلوقات الكون: قصيدة!

ما الشعر؟!، ان كزال احمد تُسخّف مثل هذا السؤال، بل وتعده تطاولا غبياً على روح الاشياء، كأن نستجوب الروح بهذا السؤال: ماذا تفعلين هنا... في حمية الجسد؟!

لا جواب بالطبع، اذن لا مناص من رمي السؤال في قعر (مثلث برمودا)، وهو الاسم الذي استبدلته الشاعرة بعبارة (ميناء برمودا) واصدرت بها احد دواوينها الشعرية المهمة.

عندما سأتحدث عن ديوان (ميناء برمودا) في اوراق قادمة، سوف اقدم مكاشفة عن سبب استبدالها (المثلث) بـ (الميناء).

أما هذه القصيدة فهي تتضمن مفاجأة لا تخطر على البال، مفاجأة لا تخترعها مخيلة عاشقة لـ (مدينة ساحرة)، ومدمنة على الحب!.❖

مدمنةٍ بك، لا يقرّ لي قرار في مكاني،
عوضاً عنك:
استغرق في تجميل حاجبيّ،
أرتشف فناجين القهوة، فنجاناً، بعد آخر،
أمضغ الحلوى،
ادخن علب السجائر، علبة اثر اخرى،
استغرق في عادة تفتيت شفتي،
في صباغة اصابع يدي وقدمي بالالوان،
أهرع إلى المخدر،
اتجول في السوق، اتبضع ،
وبعشرات الاشياء الجديدة.
لا يبقى شارع لا أتسكع فيه على قدمي،
لانهاري يمضي،
ولا يقر قرار لقلبي!
اعتاد على الغضب...، على اطلاق الشتائم،
في كل يوم، عشر مرات اركض من فناء منزل الغربة
إلى سطح المنزل،
تأخذني خيالاتي إلى خطوات.. هاتف نقال..،
أدخل على مواقع "الايميل"، ادمن على "الانترنيت"،
أقيد نفسي قبالة فضائيات "الستلايت"،
اهرب من نظرات وردة.
اقف في طابور شراة الصمون،
اغرق في الشرود،
في قطع التذاكر،
في تمزيق الصور والاوراق،
وترديد كلمة "أنا" ..، أنا...، أنا!
أتشاغل بسحب غطاء الرأس الذي تضعه النساء.
أنا لا اقوى على العيش بدونك،
أتعود على انتزاع"حب شباب" الموت،
حبة اثر حبة،
أقع في غياهب بئر الحياة،
ازج بقلبي في صبابة الاغاني،
ينبغي أن استبدل محبتي لك بـ (عادة) اخرى،
يا ... مدينة "السليمانية"!
يا قلادة من اللؤلؤ متناثرة
فوق راحة، كف، منتصف الليل،
قبالة القلوب الهائمة في شارع "أزمر ك"
أنت رعشة ذلك العشق الذي لم يجربه احد من قبل،
الا الذي وقع في عشقك حقاً!

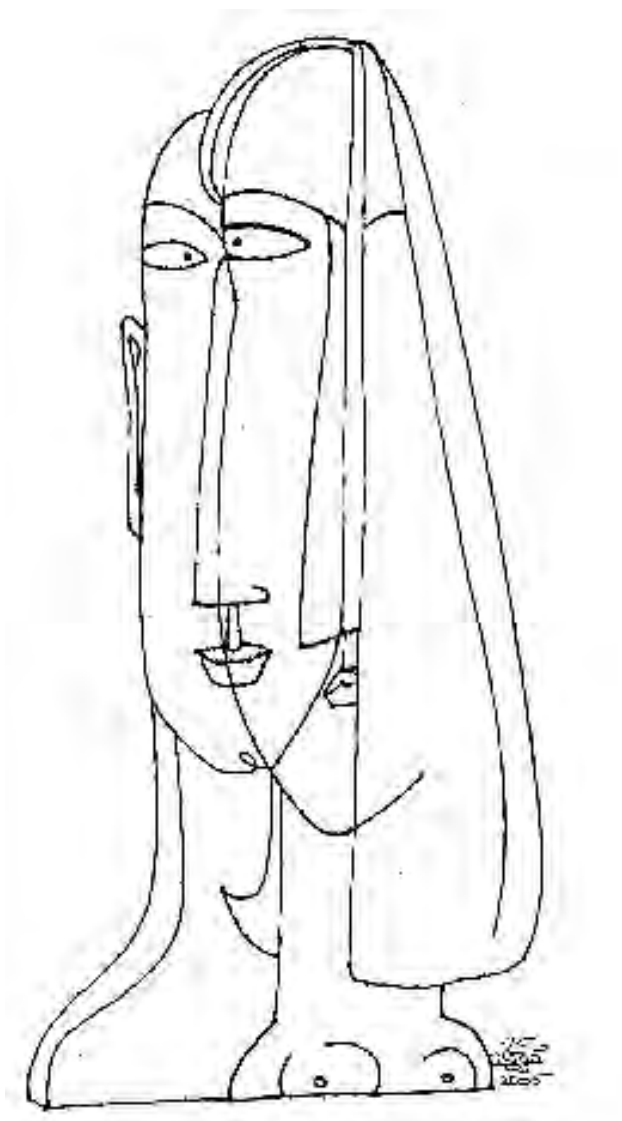

❖ المقدمة الوجيزة من دراسة للمترجم بعنوان : "مكاشفات لروح الشعر في قصائد " كزال احمد".

❖❖ مرتفعات " أزمر" تطل على مدينة " السليمانية" وفيها مرتع للعشاق والمتنزهين.

نزيه أبو عفش في (المدى) شاعراً وتشكيليا:

حوار الحرف واللون

دمشق.ابراهيم حاج عبدي

مع افتتاح معرضه التشكيلي في صالة المدى بدمشق، مؤخرا، قرأ الشاعر، والتشكيلي نزيه أبو عفش مجموعة من قصائده الجديدة، لتتعانق اللوحة والقصيدة في أمسية ربيعية هادئة حضرها عدد من الكتاب، والصحفيين، والفنانين يصغون إلى إيقاع الكلام الذي يعبر حقول اللون فتأتي القصيدة طازجة حية بينما اللوحة تقدم نفسها بصمت بهي يعين الشاعر على القول الجميل.

يقال بان "القصيدة لوحة ناطقة، واللوحة قصيدة صامتة"، ولعل أبو عفش مؤمن بهذا القول حين أراد أن يجمع بين الاثنين، وراح يتواطأ مع القصيدة واللوحة، ليعقد بينهما حوارا، مثلما يحاور، هو، الجمهور.

من عرف نزيه أبو عفش عن قرب لا بد من له أن يتساءل عن سر تلك المفارقة المتمثلة في أن روح هذا الشاعر تنطوي على سخرية مريرة لاذعة، فكل شيء في الحياة يتحول، لديه، إلى كوميديا سوداء تفصح عن نفسها بكلمة ساخرة، وتعليق تهكمي، وجملة قاسية لكن هذه الفكاهة تتحول في القصيدة واللوحة إلى عناصر منضبطة يشتغل أبو عفش عليها بجهد ومثابرة، فتأتي القصيدة، مثلما اللوحة، لتكشف عن روح مسكونة بالألم والتشاؤم، ولترسم ملامح شاعر هاجسه الأوحد في الحياة هو كيف يكون المرء أنسانا يحس بآلام الآخرين، ووسط هذه السوداوية يقدم الشاعر قصيدته على شكل مرثية تواسي الحياة والإنسان الهش المقهور.

يحلم أبو عفش بتغيير خريطة العالم، فهو يرغب في ان يقلبها رأسا على عقب، فيقول في قصيدة "أصغر أحلامي":

"اصغر أحلامي:أن أقفز إلى سطح السماء،
في ليلة لا قمر فيها ولا نجمة ولا قنديل
ملاك
لأسطو على صولجان الرب
وأغير خريطة العالم..
:رأسا على عقب/ذلك ما سوف يكون عليه
المشهد..
رأسا على عقب.
لكن، دائما، وكلما تطلعت إلى فوق
وهممت بالطيران
اسمع الصوت ذاته:
عد إلى سريرك أيها الولد المخدوع
فلقد تأخر الوقت
حتى على الأحلام".

وفي قصيدة "كتاب حياتنا" يتهم أبو عفش البشر بتشويه الحياة حين يقول:

"لأننا نحن الذين صنعناه..وليس الله،
:كتاب حياتنا الجميل
مليء بأخطاء الطباعة".

بهذه النبرة المسكونة بالوجع والخيبات يمضي أبو عفش في كتابة قصيدة ذات نبرة خافتة بعيدة عن الخطابة، فهي تسعى إلى التأمل، واستبطان الذات عبر حساسية وجدانية عالية، ولا تبتعد لوحته عن هذا المنحى فهي تكمل هذا المسار ولكن باللون.

ففي لوحة عفش نعثر غالبا على ثنائي يجسد حالات إنسانية مختلفة: الحزن، العشق، الحنين، الكآبة، الفرح حيث اللوحة لديه وجه غائم تختلف ملامحه وتقاسيمه اختلافا بسيطا في الشكل لكنه عميق في الدلالة، وهو يقول بأنه يرسم على أي شيء يعثر عليه، ذلك أن الرغبة في الرسم تلح عليه في لحظة معينة، وقد تذهب هذه الرغبة لدى انهماكه في تهيئة القماش للرسم، لذلك فهو يرسم على أي شيء قريب منه، ومتوفر على قصاصة ورق، على غلاف كتاب، على الخشب، على الكرتون وغيرها من المواد.

خطوط اللوحة لديه بسيطة، ولا تعج بالألوان الصاخبة، هي ألوان هادئة تحاول ترجمة ما يعتمل في نفس الشاعر من الشكوى والمرارة و بعض الفرح، وفي هذه المملكة البسيطة المتشكلة من اللون، والحرف، يعيش أبو عفش بعيدا عن الأضواء والحوارات والتنظير النقدي، ويعلن عن نفسه مبدعا تاجه القصيدة وصولجانه الريشة وموطنه الحزن الشفيف، وكأن لسان حاله يقول:

"الآن، وقد غامت شمسي، أتذكرني.
الآن، وقد مالت أغصاني وتنكر قلبي لي، أتذكرني.
الآن، وقد أقفل دوني الأبواب وغادرني أصحابي
أتفقدني...فأراني
أعتمت، وصرت وحيدا".

لوحة من العرض

نزيه ابو عفش

فؤاد التكرلي و مجيد مسعود في المعرض